العولمة وأثرها السّلبي على منظومة قيمنا التربوية

د.عامر رضا، جامعة ميلة

الملخص: إنّ دور المدرسة الجزائرية في مواجهة عنف العولمة على المتعلمين بات أمرا حتميا خاصة في ظلّ التقدم التكنولوجي والانفجار المعرفي والانفتاح الثقافي والمتغيرات السريعة في العديد من المجالات المادية والتقنية والاقتصادية والثقافية، وهذا ما يستوجب من الإدارة التربوية متابعة هذا التطور ودراسة أثره السلبي على الهوية والقيم والمنظومة المعرفية والثقافية للمتعلم في هذا العصر الذي أصبح يعتمد على المعرفة والصناعة الفكرية ويتسم بالتزايد الهائل في كم المعلومات والمعارف وتعدد مصادر التعلم المختلفة وانفتاح الثقافات وانتقالها من دولة إلى أخرى.

وعليه أصبحت العولمة اليوم العولمة تشكّل ظاهرة خطيرة، لكونها أثّرت على هوية المتعلم، العلمية والبيداغوجية وأصبح مستهدفا من طرف العديد من الأطراف التي باتت تهدد مستقبل الهوية الثقافية للشعوب، والخصوصيات الحضارية للأمم، ومن بينها منظومة القيم الحضارية والثقافية للمدرسة الجزائرية.

*- مدخل:

لقد تعين على المدرسة الجزائرية في ظلّ العولمة والتقنيات الحديثة التموقع في أطر تسمح لها بالحفاظ على أصالة المجتمع وهويته وتراثه العربي الإسلامي، من خلال تحقيق سبل التواصل المعرفي والثقافي بين أبناء الوطن الواحد خدمة للكيان الاجتماعي وتحقيق أهداف اجتماعية تعددت بتعدد السياقات الاجتماعية في ظل التنوع حفاظا على تقاليدنا وعادتنا ومعتقداتنا، لذا كان لزاما على وزارة التربية والتعليم الجزائرية، والمؤسسات التعليمية بوصفها هيئات تنويرية وطنية تساهم بشكل مستمر في تحقيق الأمن الثقافي والحضاري والاجتماعي أن يضمن للمتعلم الحفاظ على هويته الجزائرية في ظل التأثيرات السلبية للعولمة التي أثرت بشكل مباشر في مختلف برامج تدريس اللغة العربية في مختلف الأطوار التعليمية.

كانت ومازالت اللّغة العربية تشكل نقطة انعطاف تاريخي في تنوع ثقافة وتراث الإنسان الجزائري بشكل كبير وصولا إلى استكمال الهوية القومية التي تشكلت عبر الحقب الزمنية كوعي تراثي يمثل الذاكرة القومية المشبعة بروح الثقافة العربية، ومع ذلك لم تتحقق تلك المظاهر الحضارية في مختلف مضامين مناهج اللغة العربية التي تبقى بعيدة كلّ البعد عن تحقيق ما يطمح إليه خبراء التربية وتعليمية اللّغة العربية في جوّ العولمة التي باتت تهدد كيان المجتمع الجزائري خاصة في ما يتناول تعليماته التي ضُربت في الصميم، خاصة أثناء الإصلاحات الجديدة التي عرفتها المدرسة الجزائرية من الغرب بداية من مطلع الألفية الجديدة، فالمدرسة الجزائرية باتت حقل تجارب لكل ما يستورد من مناهج وبرامج لا تتماشى مع متطلبات وحاجيات المجتمع والمتعلمين، وعليه يجب دق ناقوس الخطر للحفاظ على هويتنا وثقافتنا وتاريخنا، والسؤال الذي يجب طرحه هنا إلى متى تظلّ منظومة قيمنا التربوية رهينة العولمة الثقافية والحضارية؟

أ- مشكلة البحث:

لما كانت التربية عبر نسق التاريخ، هي الوسيلة الفعالة لمواجهة التغيرات والتحولات من أجل بناء أفراد الأمة لمواجهة جميع التغيرات، وتحولاتها الاجتماعية وإعدادهم، وبلورة اتجاهاتهم وتكييف ممارساتهم بما يخدم مصلحة الأمة ويحافظ على بقائها واستمرارية نموها، فإن الحاجة تبدو ماسة لتربية عملية متطورة قادرة على مجابهة "**تحديات العولمة**" من جهة، والإفادة منها من جهة أخرى، من خلال تربية استراتيجية تستطيع صناعة مستقبل تعليمي يحمي هويتنا ولغتنا العربية في ظلّ التحديات المتنوعة، وعليه يمكن تحديد مشكلة البحث في السؤال الآتي:(**ما تأثير العولمة على آليات مناهج تعليمية اللّغة العربية ومحتوياتها الثقافية والحضارية للمجتمع الجزائري، وانعكاس ذلك على المتعلمين؟**).

ب- أهداف البحث: يستهدف البحث الآتي:

1. التعرف على أبرز تحديات العولمة للتعليم العام.
2. التعرف على أهم الآثار المختلفة للعولمة وبصفة خاصة على آليات تطوير المناهج المختلفة وانعكاس ذلك على طرق وأساليب التدريس المختلفة.

3. التعرف على أهمّ المحددات والتوجهات الرئيسة للمنهج الدراسي في عصر المعلوماتية.

ج- أهمية البحث: يمكن أن يفيد هذا البحث في الآتي:

- إنّ هذا البحث يفتح المجال أمام دراسات أخرى تهتم بتحديات العولمة المختلفة وأثارها على المناهج التعليمية المختلفة، وبشكل خاص مناهج اللّغة العربية وأساليب وطرق تدريسها.

- هذا البحث الحالي يحاول سد النقص في ميدان البحث العلمي في مجال العولمة وعلاقتها بالمناهج وتعليمية اللّغة العربية في ظلّ تحديات العولمة وإفرازاتها.

- إنّ ما ستسفر عنه الدِّراسة الحالية من نتائج قد يساعد في توفير حلول ناجعة هادفة تؤدي إلى التخفيف من حدة الاضطرابات والمشكلات الناتجة عن سلبية العولمة.

د- هدف البحث: يهدف البحث إلى إبراز الآثار المختلفة للعولمة وبصفة خاصة على آليات تطوير المناهج المختلفة وانعكاس ذلك على طرق وأساليب مختلفة للتدريس مما يؤدي إلى ظهور اتجاهات جديدة في التدريس وبناء المناهج.

هـ- حدود البحث: تنحصر حدود هذا البحث في المحددات التالية:

1. الحدود الموضوعية: حدود الدِّراسة موضوعياً بأنها تركز على الأدوار التربوية للمناهج لمواجهة تحديات وتأثيرات العولمة على تعليمية اللّغة العربية.
2. الحدود المكانية: سوف يتم التركيز على المنظومة التربوية الجزائرية من خلال مناهج التعليم العام.
3. الحدود الزمانية: تم إجراء هذا البحث خلال العام الدّراسي 2012م.

و- منهج البحث:

سوف يستخدم هذا البحث المنهج الوصفي، والترابطي من خلال جمع بيانات وصفية، وليس بالضرورة توضيح علاقات أو اختبار فرضيات، والقيام بتنبؤات أو التوصل إلى معان ومضامين، رغم أن البحث يهدف إلى التوصل إلى تلك الأهداف، وسيتم استخدام هذا المنهج لمعرفة بعض الحقائق عن واقع ظاهرة العولمة على منظومتنا التربوية في الجزائر، وما يعتريها من

إشكالات على مستوى مناهج تعليمية اللّغة العربية وقيمها الحضارية والثقافية، بالإضافة إلى تقديم وصف لتعليمية اللّغة العربية والتحديات التي تواجه هذه الأدوار في عصر العولمة.

ز- الدِّراسات السابقة:

في هذا الجزء من البحث سوف يتم استعراض بعض الدِّراسات والبحوث والتي لها ارتباط مباشر بموضوع البحث، وهذه الدراسات السابقة كالآتي:

1- دراسة رمضان الطنطاوي (1997م): وعنوانها (مناهج العلوم بمراحل التعليم العام وتحديات القرن الحادي والعشرين والتي يمكن لمناهج العلوم أن تعالجها- دراسة مستقبلية).

2- دراسة طعيمة (1999م): وعنوانها (العولمة ومناهج التعليم العام).

3- عبد الله قلي(2011م): وعنوانها (غايات التربية في ضوء العولمة).

وعموما لقد استفاد البحث الحالي من هذه الدِّراسات في وضع الإطار النظري للبحث، والمتعلق بمناهج تعليمية اللّغة العربية، وإشكالية العولمة، وذلك بوضع المحددات والتوجهات الرئيسية في تحقيق التوازن الفكري بين أصالتنا والغزو الثقافي القادم عن طريق العولمة.

***- المحور الأول: العولمة وأثرها على هوية المنظومة التربوية**

إنّ المناهج التربوية عندما تسطر من طرف خبراء التربية والتعليم وجب عليها أن تنطلق من واقع حال المجتمع وهويته، وبأن تعير التربية الاهتمام الكافي، وأن تنطلق المناهج من حدود الوعي لذات المجتمع والمتعلمين، فالتربية ليست سلوكا عفويا بسيطا نمارسه لإعداد المتعلمين، وبقد رما هي عملية معقدة، فإنها تتصف بدرجة عليا من الدقة والخطورة، لذلك على المناهج أن تكون مزودة بقدر كبير من الهوية الثقافة التربوية من أجل ممارسة صحيحة وقوية للفعل التربوي، وفي حالة المدرسة الجزائرية وما فعلته نجد أنّ جلّ النتائج تعبر عن الثغرات الكبيرة التي انتابتها، رغم أن برامج تعليمية اللّغة العربية من حيث المضمون مزودة بأهم ما يجب أن يتعلمه المتمدرس من خلال توظيف مواضيع يعيشها في حياته اليومية، لكن دونما العناية الكافية بتاريخ هويتنا الثقافة والحضارية في ظلّ التقلبات الممنهجة لضرب مصداقية منظومتنا التعليمية حتى تفقد هويتها عند المتعلمين نهائيا.

إنّ المعضلة التي يعيشها المتعلّم في المدرسة الجزائرية على وجه الخصوص هي أزمة هوية "d'identité crise" وهي تعكس معاناة الأفراد داخل حقل المعرفة دون أن ننتبه لذلك، ففي ظل العولمة والمثاقفة المفروضة علينا نجد جلّ أبنائنا من المتعلمين عرضة لعنف كبير من طرف الوسائل الإعلام الغربية (**المرئية والرقمية**) على وجه الخصوص إذ نجدها تساهم في زعزعة ثقة المتعلم بهويته وتاريخه، وتحاول زرع الشك في كلّ ما هو نبيل وراسخ في نفوس المتعلمين خاصة (**التاريخ– الدين– اللغة**) لذلك كان لابدّ على المربين والعاملين في ميدان التربية والتعليم من الوقوف والتصدي لهذا العدوان التقني بالتحلي والتمسك بالقيم الوطنية عن طريق الندوات والملتقيات التاريخية والأيام الثقافية في المؤسسات التربوية ودُور الثقافة، والمراكز الثقافية الإسلامية، وغيرها من المنابر التي تحمي المتعلم من خطر الذوبان في قوميات الآخر، ومحاكاتها وتقليدها من طرف بعض الشباب المتعلم في مدارسنا مستهترا بروح تاريخه وأصالته وقوميته العربية الإسلامية، ضاربا عرض الحائط بجميع القيم الوطنية الجميلة.

فالوعي بذلك مطلوب والأزمة قائمة، وأول الأمور التي يجب أن نعيرها الاهتمام الكبير أن نقتنع صراحة أن عصر أطفالنا يختلف عن العصر الذي عاش فيه أسلافنا من حيث القيم والمفاهيم والتصورات، فالطرائق البيداغوجية التقليدية لم تعد صالحة و ناجعة، لذلك وجب الاعتماد على ما يتماشى وطبيعة العصر وروح الحياة المتغيرة والمتجددة دون نسيان ما قد تسببه المثيرات الجديدة من الوسائل السمعية والبصرية والرقمية وحتى الورقية، فالمشكلة المطروحة بين يدي ذوي الاختصاص تكمن بأن يبحث هؤلاء عن مناهج جديدة و طرق قادرة على احتواء هذه التغيرات، ومن ثم تمكين المتمدرسين من التكيف مع طبيعة العصر المتغير فالتغيرات تحدث شرخا في نفسية المراهقين خاصة قبل أن تنعكس على النظام التربوي، وما تفعله الشبكة الرقمية من إشكالات كان نتيجة عدم وجود وساطة تربوية في كل ذلك، ويبقى السؤال مطروحا على الخبراء فكيف يساير النظام التربوي المستجدات الجديدة في ظلّ العولمة من أجل أن ينسج منها منهاجا تعليميا تربويا يتحكم في كل هذه المسائل العالقة من أجل بناء منهاج تعليمي في اللّغة العربية مقبول، ومتغير حسب تغيرات النظام التربوي الذي يوجد فيه المتعلم الجزائري.

1-1. مفهوم العولمة/الهوية:

مفهوم العولمة: ما زال مفهوم العولمة في طور التكوين، وما زال غائما وعائما على مساحة التفكير التربوي المعاصر، ورغم كثرة تعريفات هذا المفهوم، وتبقى مسألة وضع تعريف محدد ودقيق للعولمة أمر في غاية الصعوبة لتأثر المفهوم بذاتية الباحثين، وباختلاف اجتهاداتهم نحو فهمهم الدقيق لمصطلح العولمة، وحتى نقترب من وضع تعريف شامل وجامع للعولمة، لا بد من الوقوف على بعض أراء المختصين والباحثين في هذا المجال فنذكر الآتي: تعود كلمة العولمة في ترجمتها إلى كلمة (mondialisation) الفرنسية وكلمة (Globalization) الإنجليزية، والتي تعني بالمعنى الاقتصادي جعل الشيء على مستوى عالمي، وعليه نجد "**رونالد روبرتسون**"، يؤكد على أن العولمة هي اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش، بينما"**أوليفية دولغوس**" يعرّفها على أنها« تبادل شامل إجمالي بين مختلف أطراف الكون يتحول العالم على أساسه إلى محطة تفاعلية للإنسانية بأكملها، وهي نموذج للقرية الصغيرة الكونية التي تربط ما بين الناس والأماكن ملغية المسافات، ومقدمة المعارف دون قيود، (...) وهي ليست أكثر من حركة جهنمية تنطلق بسرعة، وتخطف في طريقها الآمال والأحلام» [1]، في حين يشير إليها المفكر"**محمد عابد الجابري**" قائلا: "إن العولمة تعني جعل الشيء على مستوى عالمي أي نقله من المحدود إلى اللا محدود الذي ينأى عن كل مراقبة»[2]، إذن العولمة هي نوع من صراع الثقافات تكون فيه الغلبة للأقوى حيث يتم الترويج لثقافة نمطية عالمية واحدة هي ثقافة القوة المهيمنة على العالم ومن مساوئها أنها نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى ويدفع إلى التفتيت والتشتيت ليربط الناس بثقافة واحدة هي ثقافة الدولة الأمريكية المهيمنة، وعليه نجد أنّ محددات العولمة تقوم صراحة على الآتي:

أ- نظام العولمة قائم على عدم الاكتراث بالخصوصيات المحلية وبتراث وبيئة الشعوب التي تغزوها، فهي التي تصنع المميزات والخصائص التي تنسجم مع رواجها ومصالح القائمين عليها.

ب- تجاوز الأفكار والخبرات والنظم والسلع والمشكلات لبيئاتها المحلية، وعبورها للحدود السياسية والجغرافية.

جـــ- تسارع وتيرة الاتصال العالمي وتقدم وسائله مما سهل حركة انتقال ما يراد نقله من أفكار، وثقافات، وتعاليم وقيّم من(**عادات/تقاليد/لغة/ ثقافة/ سلوكات...**).

إذن العولمة في النهاية فكر متجدد، ومتطور لسياسة إيديولوجية تتبنى مشروع الهيمنة على العالم، وتتخذ من آليات التطور الرأسمالي المزود بإمكانات الاختراق الثقافي والاقتصادي من خلال الشبكات الرقمية العنكبوتية، والبث غير المباشر والتسيير المصرفي للاستثمارات العالمية بشكل يضمن لها تطبيع المجتمعات والأفراد على نمط ثقافي واحد هو(**النموذج الأمريكي**) الذي يتشكل بسرعة الأذواق والرأي العام، ووفق رؤية جديدة للإنسان والمجتمع والتاريخ وذلك بالاعتماد على إفراغ الهوية الثقافية القومية من مضمونها القومي والوطني والتاريخي.

ب– مفهوم الهوية:

إنّ هذا الوضع المأزوم للهوية داخل المنظومة التربوية الجزائرية يتسم بكثير من الهشاشة والخطورة، في الوقت نفسه يضع نخبة الباحثين من التربويين والمدافعين عن هويتنا الوطنية أمام عنف العولمة الثقافية الغربية الخطيرة التي يشهدها العالم، والذي بات يمسّ الأمن الثقافي والحضاري لكلّ شعوب العالم المعاصر، فكان من الضروري وضع استراتجيات وآليات آمنة تحفظ للمنظومة التربوية الجزائرية كرامتها وقيمتها التواصلية من جهة، والتطلع إلى مواكبة الحركة التقدمية العلمية الغربية من جهة أخرى دون التماهي والغوص في الهوية الغربية التي أصبحت تجر إليها أعدادا كبيرة من المتعلمين، وبمختلف الطرق، و يُعرِّف "**المُعْجَمُ الوسيطُ**" الصادر عن مَجْمَعِ اللُّغة العربية "**الهُوِيَّة**" فلسفياً بأنها: حقيقة الشَّيء أو الشَّخص التي تميزه عن غيره. وفي تعريفه لمصطلح "**الهُوَ**"، من منظور التَّصوف، يذكرُ المعجم أنه "الغيبُ الذي لا يصحُّ شهوده للغير كغيبِ الهُويَّة المُعبَّر عنه كُنْهَاً باللاتعيُّن، وهو أبطنُ البواطن"، ويذهب المُعْجَمُ إلى تحديد معنى آخر للهويَّة حين تُضاف إلى الكلمة "بطاقة"، أو تُوصف بالنَّعت "الشَّخصية"، لتجعلنا نحصل على المصطلح "**بطاقة الهُويَّة**" أو "**البطاقة الشَّخصية**"، المُتَدَاوَلين حديثاً، فيذكرُ أنَّ الهُوِيَّةَ بطاقة يثبتُ فيها اسمُ الشَّخص وجنسيتهُ ومولدهُ وعمله[3].

أمّا في "**موسوعة كنز اللغة العربية**" نجد حنا غالب يعرّف **الهُوِيَّةَ** بأنها: الحقيقة المطلقة القائمة على الحقائق[4] بينما قاموس" le petit Robert "الذي يعدّ أحد مصادر تعريف الكلمات في المعاجم الغربية الحديثة، فإنه يحدّد معنى الهوية بوصفها "مجموع الملامح الخاصة بمجموعة من الشعوب القومية(**اللغة، الدين، الفن**...إلخ) يمكن القول إذن إن الهوية ليست بنيةً مغلقةً وإنما هي بنية مُتَحَوِّلَةٌ

باستمرار، ولكن على محور ثبات! إنها مصطلح يعكس نفسه تحت مجهر الزّمن ومعاييره، وفي سياق علاقة تبادلية تنهض على تفاعل، متحقّقٍ أو مكبوح، مع معطيات الوجود ومكونات المحيط، بحيث لا يُمكن التعامل معه بمعزلٍ عن إدراك مناحي تأثُّره بالسلطة الزَّمنية للتاريخ، وبمعطيات حركة الحياة وغايات الحراك، أو السُّكون، الثقافي: الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والقانوني، ويعدّ مفهوم الهوية من أكثر المفاهيم إثارة للجدل والنقاش والأكثر سعيا للتشابك والتداخل في سياقات معرفية متنوعة، طبعا نجد أنّ الأصل في **الهوية** ارتباطها اللّصيق بفكرة المواطنة في الدولة التي ينتمي لها شخص ما أو أدب أمة ما من ناحية الجنسية كظاهرة وكمبدأ قانوني كضرورة ملحة موازية لها أبعادها الثقافية المؤسسة للشخص، والمجتمع مثلما تتصل بالانتماء السياسي للدولة، وعموما تتغذى الهوية من مصدرين هما:

*-**أولا ــ التراث**: هو المصدر الثابت الذي يشكل الذهنية التي تبلور الشخصية النموذجية (الهوية).

*- **ثانيا ــ المجتمع**: الذي يشكل المصدر الثاني الطارئ والمتغير من الهوية، حيث يؤثر تأثيرا كبيرا، كأن يعيق ما هو ثابت أو يعطله مؤقتا، لأنّ الثابت غالبا ما يعيد إنتاج نفسه من جديد، ولو بصفة أخرى يقتضيها هو في اللحظة المناسبة ووفق صيرورة المجتمع وشروط تغيره الذاتية والموضوعية.

الهوية إذن ليست كلا متجانسا ومتكاملا، ولكن ثمة نموذج مركزي يضفي عليها طابعها العام ويميزها عن غيرها، كما أنّ هذا النموذج المركزي ليس جامعا لكل الصفات، وليس صلبا وجامدا، وإنما هو نموذج يشتمل على عناصر إيجابية وسلبية دوما، بسبب اختلاف ثقافة الأفراد، ومصالحهم ووعيهم به وكذلك ممارستهم لعناصره، وتأثرهم بعوامل ذاتية وموضوعية، وما ينطبق على الأفراد ينطبق على المجتمع، فمثلما للأفراد هوياتهم كذلك للمجتمعات، والفرق هو أنّ هوية الفرد لا تمثل إلاّ شخصيته في المجتمع، في حين تمثل هوية المجتمع جميع أفراده تقريبا، ومن الممكن القول إن أيّة جماعة من الناس لا يمكنها العيش داخل المجتمع دون هوية تحدّد علاقتها بالوطن الذي تعيش في كنفه من خلال علاقتها المباشرة بــ:(**الأرض، العقيدة، اللّغة، العادات والتقاليد، التاريخ والمصير المشترك**..،)، وبذلك تتأسس علاقة الفرد بالمجتمع المنتمي له من خلال الهوية.

1-2.المدرسة الجزائرية بين أسس الهوية و تحديات العولمة:

في ظلّ التراكم الثقافي وتغيير النظم الاجتماعية تربويا استطاعت المدرسة الجزائرية الحديثة التي أن تكون في ظلّ ديمقراطية التعليم وفية لنضال الإنسان الثوري الجزائري، وطموحاته من أجل محو سياسة التجهيل التي فرضها عليه الاستعمار الفرنسي، وفي إطار الخصوصية الجزائرية كانت المدرسة تناضل من أجل إعادة بناء وترسيخ القيم الدينية التي بقيت متواترة إلى غاية التواجد الاستعماري الفرنسي في الجزائر وأثناء مقاومة الدولة الجزائرية الفتية للمد الاستعماري، وأيديولوجيته، جعلت من الجزائريين يحملون في تصورهم معنى الثقافة الدخيلة المزعزعة للكيان الوطني خاصة وأنها تختلف من حيث الدين واللغة والتاريخ، التي جبلوا عليها، وعليه تأتي توصيات الدورة الخامسة والأربعين للمؤتمر الدولي الذي أقامته منظمة اليونسكو في جنيف في أكتوبر1996م حول ظاهرة العولمة بأنّها: إن ظاهرة العولمة التي تمس الاقتصاد والثقافة والمعلومات وعالمية العلاقات وتزايد حركة الأفراد، والتطور الهائل لوسائل الاتصالات وتدخل المعلوماتية في حياتنا اليومية ومجالات العمل، كلها ظواهر تمثل تحديا وفرصة أمام النظم التربوية.

ومنه كانت المنظومة التربوية الجزائرية حينها مصدرا للمقاومة والتحدي والشموخ والتطور، للمحافظة على هوية المتعلم بالدرجة الأولى، وهذا ما كانت تحمله فعلا كرسالة للأجيال، لأن غالبية الشعب الجزائري كان أميا نتيجة سياسات التجهيل المتوارثة من الاستعمار الفرنسي مما استلزم فتح الآفاق التربوية أمام الجميع، رغم ثبوت الرؤية الموضوعية للسياسة التعليمية فكان لزاما على الدولة أن تأخذ على عاتقها تعميم التعليم، وسن إجباريته على كل الفئات العمرية من المتمدرسين الجزائريين بالاعتماد على فئة من المعلمين من داخل الوطن وفئة معتبرة من الأجانب، خاصة منهم الإخوة العرب وبالتوازي مع هذه المعادلة، فكانت الدولة الجزائرية حينها تنتهج سياسة تعليمية غير ممنهجة ألزمت خبراء التربية والتعليم بعد فوات الأوان من إعادة النظر في الأخطاء والبرامج التعليمية المتكررة في إطار ما يسمى بالإصلاحات التربوية لاستدراك الوضع إلاّ أنّ الهوة لا زالت قائمة بين ما يصبو له المجتمع، وبين ما هو قائم فعلا في الواقع التربوي، خاصة أثناء حصار العولمة حاليا للمتعلم الجزائري، ومحاولة طمس معالم هوته الحضارية والفكرية وفلسفة التعليم تلزم المربي بأن يقف مدافعا يذود عن المتعلمين من أجل الأخذ بيدهم من حالة العنف التي باتت تمارسه العولمة باستمرار على

هوية منظومتنا التعليمية في غياب هيئة خاصة تتبنى فكرة الدفاع عن مصالح المتعلم، وعليه «إنّ تطوير التربية والتعليم لرهن بإصلاح عميق شامل طموح يتناول الأهداف فيدققها، والطرائق والأساليب والوسائل فيجددها»[5]لكي تتناسب مع واقع هويتنا، ومصالح المجتمع وفلسفته التعليمية.

لقد تعيّن حاليا على المدرسة الجزائرية حماية منظومة القيم التربوية في ظلّ الغزو الثقافي الغربي، وسلبيات العولمة التي باتت تنذر بخطر ذوبان مختلف القيم والمعايير الأخلاقية التي تربى عليها جيل من المتعلمين خدمة لكيان المجتمع الجزائري والمحافظة على أصالته، وتحقيق أهداف اجتماعية تعددت بتعدد السياقات الاجتماعية داخل هرم مجتمع المعرفة الذي يمد المجتمع بأسباب التقدم والتطور في كل مجالات الحياة، وهو مصدر القدرات التنموية علميا وعمليا، وعليه يجب على المربي المعاصر أن يكون على دراية تامة بخطورة العولمة وسلبياتها المباشرة على المتمدرسين كشرط أساس لنجاحه في عملية التأطير وتحقيق التواصل المعرفي والثقافي والمحافظة من جهة على قيم المجتمع من(**عادات وتقاليد وقيم وأعراف وسلوكات اجتماعية...**)، ومنه يجب على منظومتنا التربوية إعادة النظر في مسلماتها الثقافية والتربوية والأخلاقية، انطلاقاً من الحقائق الراهنة للعالم، لا بقصد التكيف معها فحسب، وإنما أيضاً بقصد المشاركة في إنتاجها، حتى تكون أكثر تعبيراً عما نريد أن نكون علية من ناحية، وحتى لا نتعرض من ناحية أخرى لعملية سلب شاملة، وعليه يجب على التربية في المدرسة والبيت والمجتمع أن تتصدى لهذه الإشكالية، وأن توجد الوسائل المناسبة لحماية أجيالنا الصاعدة، وأن توعيهم إلى مخاطر هذه القنوات الغازية، وأن تحصنهم من الداخل، وتزودهم بالمهارات العقلية وبالقيم الأخلاقية القادرة على الوقوف في وجه الثقافات الدخيلة.

1-2-1. المدرّس و تعزيز منظومة القيم الاجتماعية والثقافية في ظلّ العولمة:

يعدّ المدرّس أحد الركائز الأساسية في المنظومة التعليمية، خاصة إذا كان يأخذ على عاتقه مسؤولية التعليم وغرس قيمنا الثقافية والحضارية في نفوس المتعلمين، ودعوته للتمسك بها والذّود عليها لكونها تعد واجهة المجتمع وأحد ركائزه الفكرية، فالمدرس هو الذي يقوم بالدور الأكبر في تحقيق جميع أهدافها ومن ثم فإن نجاح أي نظام تعليمي أو فشله يعتمد إلى حد كبير على وجود المعلم بروح قيم المجتمع الأصيلة ليتولى مسؤولية تحقيق النمو الفكري والحضاري المتكامل للمتعلمين في ظل تحديات العولمـــة، فهولا يزال العنصر الهام الذي يجعل من عملية التعلم والتعليم ناجحة كما

نجده الشخص الذي يساعد المتعلم على التعلم، والنجاح في دراسته ومع هذا فإنّ دور المعلم اختلف بشكل جوهري بين الماضي والحاضر، فبعد أن كان المعلم هو كل شيء في العملية التعليمية هو الذي يحضر الدروس وهو الذي يشرح المعلومات وهو الذي يستخدم الوسائل التعليمية، وهو الذي يضع الاختبارات لتقييم المتعلمين فقد أصبح دوره يتعلق بالتخطيط والتنظيم والإشراف على العملية التعليمية أكثر من كونه شارحا لمعلومات الكتاب.

حقا تغير دور المعلم تغيرا ملحوظا من العصر الذي كان يعتمد على الورقة والقلم كوسيلة للتعلم والتعليم إلى العصر الذي يعتمد على الحاسوب والأنترنيت وهذا التغير جاء انعكاسا لتطور الدّراسات في مجال التربية وعلم النفس وعلم النفس التعليمي بخاصة وما تمخضت عنه من نتائج وتوصيات، حيث كانت قديما تعتبر المعلم العنصر الأساسي في العملية التعليمية والمحور الرئيسي لها، ولكنها الآن تعتبر المتعلم المحور الأساسي، وتبعا لذلك فقد تحول الاهتمام من المعلم الذي كان يستأثر بالعملية التعليمية إلى المتعلم الذي تتمحور حوله العملية التعليمية وذلك عن طريق إشراكه في تحضير وشرح بعض أساسيات التعلّمات فكان على المربي الناجح أن يحاول غرس تعاليم الهوية الجزائرية، و مختلف القيم النبيلة في أذهان المتعلمين من خلال: (حبُّ الوطن – غرس قيم التسامح بين الأبناء المتمدرسين – التمسك بالتاريخ الوطني ومحاكاة رجال الثورة – احترام الدين الإسلامي الحنيف – الذود عن اللّغة العربية والدفاع عنها – التمسك بالعادات والتقاليد التي خلفها لنا الأجداد- المساهمة في عملية التوعية الثقافية من خلال المشاركة في التظاهرات الفولكلورية والاحتفالات الوطنية- التمسك بروح القومية العربية – الدعوة إلى تبني القيم والسلوكيات الحضارية التي تميزنا عن بقية الأمم...)، كلّ هذه السلوكات، والمظاهر الراقية تجعلنا في مصاف الأمم التي تحترم هويتها، وتحافظ على تاريخها دون الإنقاص من ذواتنا أو التخلي عن هويتنا وماضينا العريق، وضرورة إعطاء مجتمعنا الاحترام الذي يليق به، وبذلك نتمكن من مواجهة العولمة وتحدياتها المتنوعة.

وانطلاقاً من أهمية التربية والتعليم، وبالدور الذي يمكن أن يلعبه المربي بالنسبة لطلابه، ومجتمعه باعتباره مربياً ورائداً اجتماعياً حاميا لهويته ومدافعا عن مبادئه، وحجر الزاوية في عمليات التطوير والتنفيذ المنشودة بصفة خاصة، وقد واجهت وزارة التربية الوطنية الجزائرية على عاتقها

ضرورة تحسين نوعية المعلم المعاصر في وقت سابق عن طريق إعادة التكوين والإدماج، من خلال برمجة تكوين مستمر أثناء الخدمة من أجل تطوير معارفه، ومدركاته وسبل إعداده مهنياً وتربوياً ليكون أكثر قدرة وفاعلية في مواجهة مخاطر العولمة وتحديد أهم المقومات الشخصية والمهنية الواجب توافرها لديه حتى يقوم بهذه المهمة الخطيرة للحفاظ على مستقبل هويتنا بكفاءة وفعالية، يجب فتح الباب على مصراعيه من أجل متابعة مستجدات التعليم أمامه حتى يتمكن منها تقنيا وبيداغوجيا، وعليه نجده القدوة الصالحة في التربية بأنجع الوسائل المؤثرة في إعداد المتعلم خلقيا وتكوينه نفسيا واجتماعيا.

ولعلّ مسألة تحديد مقومات الهوية في المنظومة التربوية الجزائرية من أكثر القضايا صعوبة و حساسية لأنها تنطوي بالضرورة على إغراءات أيديولوجية قد تطيح بالبعد المنهجي والموضوعي للبحث في تحديد هذه المقومات، فقد طرحت العديد من الأيديولوجيات مفاهيم غير مؤسسة لمعنى الهوية الوطنية التي يجب على الفرد احترامها والذود عنها في المنابر الثقافية والسياسية لذلك بات من الضروري الحفاظ على تلك المقومات التي تساهم في رسم حدود المقوم التاريخي والديني والوطني والثقافي، وتدفع بمعالم الهوية إلى الترسيخ في ذهنية الأفراد والجماعات المنتمين للأمة واحدة، فالهوية الجزائرية على سبيل المثال تخضع لاعتبارات تاريخية، وعرقية، ودينية، وثقافية فولكلورية تجعل من أبناء المجتمع يتميزون عن غيرهم من الأمم والشعوب التي تبحث عن هويتها التاريخية، والثقافية خاصة في ظلّ العولمة، وقد حدد المشرع التربوي أسس الهوية الوطنية للمتمدرس الجزائري أنها تتلخص في الآتي:

أ-**الهوية التاريخية:** تدور حول أهمية المكتسبات التاريخية، والنضالية والبطولية للأمة التي تتمسك بتاريخها، وحضارتها ومقدساتها المادية من أثار وحفريات ووثائق مكتوبة ومطويات وصور ومجسمات تحمي تراث المجتمع من الضياع، أو البقاء من دون هوية وحتى وثائق تاريخية تربط صلته بالماضي والحاضر، وهذا من خلال ما تمّ حفظه على مرّ الأزمنة والعصور من بيانات ووثائق تاريخية تبيّن أصالة هذا الشعب أو ذاك وعراقته في تلك الأرض المنتمي إليها، وكمثال على ما نقول المجتمع الجزائري وتاريخه العريق بداية من الحضارات القديمة المتنوعة بداية الحضارة الأمازيغية إلى الرومانية والفينيقية، والعربية والعثمانية، التي مرّت على بلاد المغرب العربي والجزائر خاصة.

ب–الهوية الدينية: وتتلخص في المحافظة على الدين الذي يتمسك به أفراد تلك الأمة ويعملون على المحافظة عليه ونشره وتمكين أبناء المجتمع من تأدية تلك الشعائر والطقوس بالطريقة التي تعلموها، من أجدادهم عبر قنوات التعليم الديني المتمركز في هوية المجتمع الديني، تعطي قيمة للتنوع العقائدي إذا كان في المجتمع أكثر من عقيدة تمكن المجتمع من القيام بتلك الشعائر دون عقد، أو خوف من طمس معالم شخصيات الأفراد دينيا.

جـــ–الهوية القومية: من خلال هذا العنوان يتضح لنا أنّ لكلّ أمة هويتها القومية التي تبعث في نفوس الأفراد ظاهرة الاعتزاز بالنفس في ظل تواجدهم بين أحضان قوميتهم، وأصالتهم التي تميزهم عن بقية الشعوب والمجتمعات، فمثلا القومية الجزائرية هي قومية عربية إسلامية، وأمازيغية من الناحية التاريخية تميزها عن بقية الأمم.

د–الهوية اللّغوية: للهوية اللّغوية شأن كبير في جمع أبناء الأمة على لسان واحد (لغة أو لهجة محلية) يتفقون عليها سلفا تميزهم هن غيرهم وتجمع كلمتهم حول قضايا المجتمع الفكرية والسياسية والتاريخية وغير ذلك.

هـــ–الهوية الثقافية: وتتلخص في العادات والتقاليد التي تعارف حولها المجتمع وهم يسهرون على إبرازها محليا، ودوليا فمثلا في الجزائر نجد تنوع العادات من بلاد الصحراء إلى الأوراس إلى قبائل جرجرة إلى الغرب الجزائري.

1-2-2. التنشئة الاجتماعية السليمة ودورها في مواجهة العولمة:

إنّ التنشئة الاجتماعية الايجابية داخل الأسرة تأتي بثمارها التي تحفظ للمجتمع اتجاهاته وقيمه الثقافية والحضارية وسلوكاته السوية المقبولة في نظام الجماعة والتي باتت مستهدفة من قبل، فالإنسان يبدأ حياته طفلا في أسرة يتفاعل مع سلوكياتها ويتشرب ممارساتها من عادات وقيم اجتماعية ومعاملات، وتنمو معه هذه السلوكيات والمعاملات وتأخذ شكل النمط السلوكي المتبع في الجماعة المنتمي إليها، وحيث أنّ الأسرة تعدّ أول مؤسسة اجتماعية تنقل خبراتها المختلفة للفرد من خلال عملية التعليم التي تتضمن تغيرا تعديليا في السلوك، والذي يتضمن بعض الأساليب والوسائل المعروفة

في تحقيق عملية التعليم فإنّ الدور الاجتماعي كذلك يتعلمه الفرد ويكتسبه بواسطة عملية التنشئة الاجتماعية سواء بقصد أو بغير قصد.

لقد باتت عملية التنشئة الاجتماعية تتعرض إلى ما يعوق أهدافها من قبل المنشئ، تتولد من خلال هذه الاتجاهات انحرافات في سلوك وتفكير الأبناء، فمنها ما هو متعلق بسيطرة أحد الوالدين على التنشئة الاجتماعية الأسرية والتي تتميز بالتعارض فيما بينها، ويكون الصراع الثقافي هو ما يواجه الأبناء أثناء عملية اختيار الدور المنوط بهم، الذي قد يعوق عملية التنشئة الاجتماعية، خاصة حينما يعيشون تحت ضغوط اقتصادية أو اجتماعيه قاسية تؤدي بهم إلى البحث عن نموذج أسري آخر يلبي حاجاتهم البيولوجية التي لم يجدوها عند أسرهم الأصلية، فهنا تلعب العولمة لعبتها من خلال الترسبات السلبية لثقافة الغرب خاصة في مرحلة مراهقته، إذ تجعل من الطفل لا يتقبل تلبية حاجاته إلاّ من خلال استعماله لوسيلة الآخر التي تأثّر بها، والتي ترسخت في ذاكرته، وأصبحت تشكل لغة للتواصل اليومي مع غيره من أفراد أسرته، أو أقرانه من المراهقين، مما يشكل ظاهرة سلبية تتنامى مع ثقافة العولمة ليتطبع بها كسلبية في نظر المجتمع، لتصبح تصرفا عاديا بالنسبة إليه.

كما أنّه لا يمكن تجاهل ما يحدث من تغير داخل المجتمع الذي انعكس بدرجة كبيرة على نسق القيم السائدة والسلوكيات المرتبطة به أثناء عملية تلقين التعليم، فلم تعد الأسرة اليوم قادرة على أداء وظائفها، بل أنّها تغيرت كثيرا في بنائها وأوكلت أداء ذلك لوسائط أخرى كوسائل الإعلام والتقنية الحديثة، كمقاهي الانترنيت، ومواقع الدردشة المتنوعة، وقنوات التواصل الاجتماعي كـــ"**الفيس بوك واليوتيوب وتويتر**"ذات النزعة الاستهلاكية الترفيهية، كلّ هذه التغيرات تركت أثرا سلبيا على ثقافة المتمدرسين في جوّ العولمة وتناقضاتها، ما جعل المتعلم في مفترق الطرق لا يجد من يأخذ بيده ليخرجه من دائرة الوقوع فريسة للغزو الثقافي في ظلّ انسداد قنوات التواصل مع مجتمع المدرسة، وعدم قيام النوادي الثقافية وجمعيات أولياء التلاميذ- التي لا تكاد تجدها أو أنّ دورها معدوم أوهي في حالة سبات طويل الأمد- بوظائفها المفترضة هذه الهوة السحيقة تركت الطالب في حالة حيرة من أجل إشباع رغباته في ظلّ عنف العولمة الممارس عليه، والتي بات يرى فيها هدفه، ومتنفسه من كلّ تلك التراكمات التربوية والثقافية والتاريخية التي لا تشبع رغباته

وتطلعاته إطلاقا، وهنا يأتي الدور الفعلي في «الخدمة الاجتماعية بصفة عامة وخدمة الفرد بصفة خاصة في مواهبه المشكلة سواء بالجهود العلاجية أو الوقائية»[6].

***– المحور الثاني: العولمة وأثرها على القـــيّم التربوية للبرامج التربوية**

تعدّ البرامج والمناهج التعليمية في المدرسة الجزائرية بعيدة كل البعد عن متطلبات هويتنا في ظلّ العولمة التي خلقت لنا انسدادا حقيقيا بين الطالب وما يتعلمه داخل المؤسسات التعليمية، فزعزعت الثقة العلمية داخل منظومته التكوينية والتي أصبح لا يرى فيها بديلا عن متطلباته وحاجياته التعليمية، وما يواجهه من نقائص في التكوين لكي يستطيع الانخراط بيسر في سوق الشغل، فأصبح المتعلم لا يتلقى التعلّم بشكل جيد ويستفيد منه ما لم يتواجد في بيئة تشجّع على الإبداع وتحفز على التفكير وتدفع بالفرد إلى أفاق من التعلم القائم على التفكير الإبداعي والبعيد عن القوالب الجاهزة، وضرورة توفر وسائل متعددة للتعليم تساعد على الحوار والمناقشة، ومكتبة متخصصة تحفز على البحث وتشجع على الدراسة وإعطاء الفرصة للمتعلمين للمناقشة والحوار والإبداع والاختلاف، فالإبداع ينمو في أجواء الحوار ويموت في مهده في أجواء التلقين الصارم، والملاحظ أنّ المناهج الدراسية المصاغة بشكل فيه حشو في المعلومات خاصة في ظل التعليم الجديد وفق المقاربة بالكفاءات جعل المتعلم في قلق دائم من حالات الحشو المستمر للمعلومات، الذي لا يترك له أيّة فرصة للإبداع والانطلاق في ظلّ« صعوبة الموضوعات والمناهج الدراسية وضعف العلاقات الإنسانية بين الأساتذة والطلبة وارتفاع معدلات الرسوب بين الطلبة وتداعي الحالة الاقتصادية والاجتماعية للطلبة»[7].

وعليه تعمل العولمة على تهميش الهوية وتدمير وتحطيم الثقافة التعليمية الوطنية، وذلك بسبب محاولتها تحطيم وتدمير كل القوى الممكن أن تقف في وجهها، وفي ظلّ سقوط التجربة الأممية والاشتراكية التي كانت تقف كجدار في طريق انتشارها كان لابدّ من اختراع عدو جديد من أجل تسخير القوى الامبريالية لمحاربته وإفساح الطريق أمام مشروع عولمة التعليم وفق الأمركة الغربية، فكان لا بدّ من تحويل الصراع نحو الثقافات الوطنية والإيديولوجيات الدينية التي كانت السبب الرئيس لتطور المجتمعات ماضياً، ومن أهمها الثقافة التعليمية العربية، والمناهج الدراسية التي يمكن أن تقف في وجهها، فبالرغم من أن العولمة الاقتصادية هي الأساس والهدف، فإنّ الانعكاسات والامتدادات الاجتماعية والثقافية للمناهج التعليمية قد أصبحت واضحة ولا يمكن التغاضي عنها أو

إغفالها مع التطورات السياسية العالمية من ناحية وانتشار ثورة المعلومات والاتصالات في ميدان التربية وتعليمية اللّغة العربية من ناحية أخرى، وكلّ هذا من خلال تقزيم أهمية الهوية التعليمية، وفرض خناق عليها عن طريق مختلف التقنيات التعليمية الحديثة التي تمكن العولمة من التغلغل بواسطتها نحو المتعلمين، وبث البلبلة والشكوك بشأن مناهج تعلميهم، وعدم مسايراتها التطورات التقنية المختلفة التي بات يشهدها العالم حاليا.

1-2. المناهج التربوية وتحديات العولمة:

يعدّ المنهاج التعليمي نظاما فرعيا من النظام الرئيسي الأكبر وهو التربية، ومن ثم تنعكس عليه كل ما يصيب التربية من متغيرات، وما يصيب المجتمع أيضا يمتد أثره على التربية بصفتها نظاما فرعيا لنظام كلي أشمل هو المجتمع، وفوق ذلك كله فإن المنهاج هو الوعاء الذي يترجم الفلسفة التربوية إلى إجراءات، وطرق تدريس تأخذ طريقها إلى الطالب في غرفة الصف، وفي ضوء السعي لإعداد الإنسان للحياة وخاصة في ظل العولمة، يجب علينا أن نبني منهجا يتلاءم مع هويتنا ويتطلع بالمتعلمين نحو الوعي بمختلف التقنيات العلمية والفكرية التي تحيط به، وعليه نجد أنّ المؤسسات التربوية التعليمية الناجحة هي التي تقوّم أدائها بشكل منتظم وتجري دراسة تحليلية تقويمية شاملة للمناهج الحالية ولجميع المواد التعليمية للوقوف على مدى قدرتها على الحفاظ على هوية المتعلمين وتزويدهم بمناعة دائمة نحو سلبيات العولمة وعنفها بمفاهيمها وقيمها المختلفة، التي تظهر جليا في واقع التعليم وسلوكات المتمدرسين من (**أفكار/سلوكات**)، وهذا كله دافع المدرسة الجزائرية إلى فقدان هويتها العربية والمغربية، وحتى العربية تدريجيا، وبات المتعلم عرضة لمختلف الثقافات التي يرتدي زيّها إمّا طوعية، أو مرغما كنوع من التطور التربوي، الذي شمل مختلف ميادين التربية، وبما أنّ المدرسة الجزائرية مؤسسةً هامة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعليها مسؤولية أخلاقية، واقتصادية واجتماعية وجزائية هامة من خلال البحث عن سبل الحفاظ على هوية المتعلم داخل المجتمع، وحتى تصبح المؤسسات التعليمية قادرة على تشكيل هوية المتعلم تدريجيا داخل المجتمع لا بدّ من تكامل مقومات العملية التعليمية ثقافيا.

كما أنّ جلّ برامج التربية والتعليم المتعاقبة على المتعلمين في المدرسة الجزائرية هي إمّا مستوردة لا تتوافق جملة وتفصيلا مع القيم الاجتماعية ورغبات المتعلمين، أو أنها بعيدة كل البعد عن

طموحاهم التعليمية، وباتت دون فائدة لأنها ببساطة أعدت من دون مشاركة من نخبة المجتمع المدني، بل وأكثر من ذلك فهي تتوجه إليهم بخطط جاهزة لا تتماشى مع احتياجات المتعلمين الحقيقية بما يجعلها نوعا من التخيل الوهمي، وعليه كان على جميع الباحثين في مجال التنشئة داخل المجتمع، ومن بينهم أساتذة الجامعة أن تتكامل أدوارهم لمعالجة ظاهرة العولمة ومخاطرها على المدرسة الجزائرية، والمتعلمين لأنّها أصبحت أزمة فكرية تهدّد كيان الأمة وهويتها الثقافية، والخروج منها لا يكون إلاّ عن طريق الابتعاد عن منطق الفوقية والوصاية المفروضة علينا من الآخر، ويسوّق لنا أفكاره، ومناهجه التي لا تتناسب ومعطيات ثقافتنا وهويتنا العربية والإسلامية في ظلّ المؤثرات التي يتعرض لها المتعلمون خاصة المراهقين منهم على وجه الخصوص لكونهم باتوا مستهدفين لحمل لواء زعزعة أسس المنظومة التربوية على كلّ الأصعدة، وأرضية خصبة لتوجيه فكره والإيقاع به في شباك العولمة وما تحملها من سلبيات، وأفكار هدّامة، وهذا في ظلّ عدم وجود قوانين رادعة تحمى نخبة المتعلمين من فقدان هويتهم، وتحديد مسارات مناهج التعليم وفق مقومات هوية المجتمع، وأسسه الفكرية «فالنهضة الحقيقية في المجتمع لا تتم بدون إعادة النظر في المناهج الدراسية من حيث المحتوى والهدف لأن التعليم هو السبيل الوحيد للتحكم في مسار التنمية ورسم خريطة المستقبل»[8].

إنّ النجاح الفعلي للمربي في ممارسته لمختلف الأنشطة البيداغوجية وأدائه لمختلف الأدوار الاجتماعية يتوقف على مدى توفره على العديد من الخصائص والشروط الأساسية في شخصيته بمختلف جوانبها المعرفية، النفسية والاجتماعية، التي تتطلبها عملية التعليم بيداغوجيا، وعليه «التربية لن تكون حقا ما ينبغي أن تكون، نعني إعدادا لمهنة الرجل وإعدادا للحياة في جميع أشكالها، إلا إذا امتلك المربي حول جميع مشكلات الحياة أضواء ومعارف كافية تجعله قادرا على أن يحكم عليها وأن يكيف عمله معها»[9].

2-2. منظومة القيم التربوية في ظلّ عنف العولمة:

لم يعد من الممكن أن نعلم أبناءنا في فترة التعليم الراهن بأساليب اندثرت في ظلّ التعليم التقليدي، فالتعليم في ظلّ العولمة تغيرت مفاهيمه ومعاييره وأدواته، إذ أصبح عملية تسبق الفعل البيداغوجي، وتستمر معه وتتابعه أثناء فترة التكوين والنتيجة التي نخلص إليها أن أزمة ترقية تعليمية اللّغة العربية في **المؤسسات التربوية**، وتعميم استعمالها لتصبح لغة التواصل والعلم لا يمكن حلها

بنجاعة إلاّ في ظلّ الحقائق الحديثة التي أثبتها العلماء والمربون في ميدان منهجية تدريس اللّغات من خلال طرق ووسائل علمية حديثة مواكبة لعصر العولمة حتى تحقق نوعا من الاتساق والانسجام اللّغوي، ولقد تعيّن على المدرسة الجزائرية تطوير نفسها لخدمة الكيان الاجتماعي الذي توجد فيه وتحقيق أهداف اجتماعية تعددت بتعدد السياقات الاجتماعية فهي هرم السلم التعليمي ومجتمع المعرفة الذي يمد المجتمع بأسباب التقدم والتطور في كل مجالات الحياة، وهو مصدر القدرات التنموية علميا وعمليا، كما يجب على المربي أن يكون ذا دراية بكيفيات اختيار الوسائل التعليمية المعينة على حسب الدروس الملقنة، حيث إن الاختيار والقدرة عليه هي من أهم شروط نجاح المعلم في توصيل المعارف إلى التلاميذ، وتقريب المعاني المجردة إلى عقولهم فهما محسوسا إذ « يفيد بعض المربين بأن التعليم يحدث لدى التلاميذ بسهولة وبدرجة عالية كلما استخدم في تحصيله وسائل تعليمية تجسد بقدر الإمكان الحياة الواقعية وخبراتها»**[10]**.

ويعدّ قيام المربي بالبحوث التربوية خصوصا في تعليمية علوم اللّغة العربية وكيفية تقويم الطلاب فيها عنصرا هاما من عناصر الخلفية البيداغوجية في إعداده لممارسة التعليم، ولا يمكن التغاضي عنه أو فصله عن العناصر الأخرى، فكلّ العناصر المذكورة هي عناصر هامة ومتداخلة تكمل بعضها البعض وتشكل في جملتها خلفية بيداغوجية تعتبر أساس الإعداد الأمثل للمعلمين، خاصة أثناء عملية «استيعابه لمختلف الطرق التدريسية الحديثة وكيفيات تطبيقها خلال عملية تنفيذ الدرس من أجل حصول التعلم لدى التلاميذ، إلى جانب قدرته على استخدام الوسائل التعليمية المعينة المختلفة والمناسبة لكل طريقة ولكل درس»[11]، ولكي يتمكن المعلم من التقويم الجيد والفعال للعملية التعليمية، بات من الضروري أن يستوعب شروط التقويم ووسائله الحديثة، التي تقيس فعليا التغيرات الطارئة على سلوكات المتعلمين ثقافيا وحضاريا، ولكن مع مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ المتمدرسين أثناء اكتسابهم التعليمات، إذن «المدرس في التربية الحديثة يوجه التلاميذ للعمل والنشاط ويهيئ لهم الجو الصالح لكسب المعرفة وتحصيل المعلومات»[12].

*- **خاتمة الدّراسة:** لا تحتاج ظاهرة العولمة إلى ردود فعل آلية، ولا إلى تهاون وتجاهل في معالجة مخاطرها بل يتطلب هذا المقام التربوي الاستثنائي تفكيراً جدياً وعميقاً لجميع الفاعلين التربويين، لإيجاد حلول تخفف من انتشار ظواهرها السلبية من(**غزو ثقافي/ ازدواج لغوي/ ذوبان**

تاريخي) في مدارسنا التعليمية وإعادة الاعتبار لهوياتنا، فإن التصدي الخلاق لنظير هذه الظواهر والسلوكات اللا أخلاقية التي غدت متفشية يقتضي منا هذا المقام التذكير بأهمية، ودور المربيين بيداغوجيا داخل مجتمع المدرسة في حلّ مثل هذه الأزمات التي تشوه صورة منظومتنا التعليمية على مختلف الأصعدة «في ظلّ ما يواجهه المجتمع من الصعوبات والتحديات والتهديدات يتعيّن أن يأخذ أفراده بأسباب القوة والمنعة والتحصين ضدّ هجمات هذا العصر»[13]، والمتتبع لدينامكية المتعلمين في الوسط المدرسي يجد أنّه «يتطلب دراسة علمية موضوعية عن احتياجات الشباب النفسية والاجتماعية والاقتصادية في الوقت الحالي»[14]، وهذا لا يتأتى فعلا إلاّ من خلال استغلال طاقتنا البشرية المؤهلة لتطوير إستراتيجيتنا التعليمية والأخلاقية فضلا عن محاولة خلق التكتلات مع المجتمعات العربية، وذلك بتهذيب الأطروحات التعليمية، وتقوية فرص التكيف مع الثقافات الجديدة بطرق ومناهج بيداغوجية علمية تتماشى مع فلسفة العولمة الجديدة.

الهوامش والإحالات:

1. أبو راشد، عبد الله:1998، العولمة إشكالية المصطلح ودلالته في الأدبيات المعاصرة، معلومات دولية، مركز المعلومات القومي في الجمهورية العربية السورية، العدد(58)، ص08.

2. الزيدي، مفيد:2003، قضايا العولمة والمعلوماتية، دار أسامة، عمان، الأردن، ط، ص144، 145.

3. المعجم الوسيط:2005، مجمع اللغة العربية (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التُّراث)، القاهرة، مصر، ط4، 57.

4. حنا غالب:2003، كنز اللغة العربية، موسوعة المترادفات والأضداد والتعابير، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، ص2.

5. السنبل، عبد العزيز:2009، كيف نواجه العولمة ، المعرفة، العدد(48)، المملكة العربية السعودية، ص8.

6. غباري، محمد سلامة محمد:2004، أدوار الأخصائي الاجتماعي في مجال الجريمة والانحراف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص8.

7. الحسن، إحسان محمد:2008، العنف والإرهاب دراسة تحليلية في الإرهاب والعنف السياسي والاجتماعي، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ص194.

8. شحاتة، حسن:1999، المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق، مكتبة الدار العربية، القاهرة، مصر، ط1، ص23.

9. أوبير، رونيه:1982، التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدايم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، ص797.

10. زياد، حمدان محمد:1981، الوسائل التعليمية- مبادئها وتطبيقاتها، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، ص46.

11. وطاس، أحمد:1988، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص61.

12. BERGER ,IDA **:**1979, Les instituteurs d'une génération à l'autre (1er éd), PUF, France ,p88.

13. العيسوي، عبدالرحمان:2007، سيكولوجية العنف المدرسي والمشاكل السلوكية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص185.

14. إبراهيم، أبو الحسن عبد الموجود:2007، ديناميات الانحراف والجريمة، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ص282.